القومي مما نسميه « الحماسة » ولها كتاب غير هذا يعرض لهم ويفصل الأمر فيهم .

المديح فى الأدب العربى :

بسطنا ما كان للأمم القديمة فى الشرق والغرب من أدب فى المديح ، ورسمنا فى عرض سريع تقديس الآلهة وتكريم العظماء وإكبار الزعماء والملوك والقواد والعلماء ؛ وذكرنا ما كان منها خالصاً للدين وما كان منها للدنيا ، ورأينا أن الأمم جميعاً تشترك فى خطب الود عند الأقوياء وإظهار أياديهم وصفاتهم ، وما لهم من خلق رفيع وشجاعة نادرة وتفوق كبير . وسننظر الآن إلى العرب كيف كانوا يرون الصفات المثلى والفضائل البارزة فى ممدوحيهم ، ومن أين يأتيهم الإعجاب ويبلغهم التقدير ليرسموا مديحهم وإعجابهم وتقديرهم فى قصائدهم .

لقد قامت فى قبائل العرب حروب واستعرت بينهم وبين جيرانهم معارك ، نثارت حرب البسوس قبل الهجرة بنحو قرن ونصف القرن ، وأتانا شعر كثير نسب إليها ، وقيل فيها ؛ وجاءتنا كذلك أشعار أيامهم وما كان من مديح لأبطالهم وزعمائهم ، فقد كانت حياتهم تسوّد رئيساً وتملك زعيما وترفع قائداً . وكانت الأديان المختلفة عندهم تبعث على العقيدة بوجود إله يذكرونه فى شعرهم ويتوجهون إليه ضارعين خاشعين ، فكانت الأسباب إذاً متوافرة لخلق المديح ، وكانت الموضوعات متيسرة فى المديح الدينى والسياسى والاجتماعى كما توافرت عند غيرهم من الأمم ، ولكنها زادت عندهم بسبب الفقر المدقع فى هذه الصحراء القاحلة ونضوب موارد الرزق وفقد الصناعات ، وندرة البساتين والغياض ، وشح المياه ؛ فكثر المحتاجون وقل الأغنياء وعم الدهماء نظرة خاصة إلى الإحسان والرفق والعون وحماية الجار لا نراها عند غيرهم من الأمم بمثل القوة التى استولت على نفوسهم ؛ لذلك كثر القتال فى سبيل الحياة ، وتنوعت أساليب البطولة والبسالة من خروج فى القفر ، وصراع لوحش البر . وقتال للأعداء والمغيرين واللصوص . وسارت فى القبائل سيرة الكرماء والأجواد والسادة الزعماء والوجهاء